﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤﴾ [الأعراف: 24]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بين توبة آدمَ وزوجِـه، وبـين نُـزولِـهما إلى دارِ المقارَعةِ والمُنَاكَدَةِ

لمّا ذكرتِ الآيةُ السَّابقةُ أنَّ آدمَ وزوجَهُ طلبا المغفرةَ والرَّحمةَ ضمْنَ اعترافِهما بظُلمِهما لأنفسِهما؛ جاءتْ هذهِ الآيةُ لبيان جوابِ العليِّ الكبير ﷻ، فناسبَ ذكرَ ما بعدَ توبتِه عليهما، وتحذيرَ آدمَ وذرِّيَّتِه من عداوةِ الشَّيطانِ لهم بعدَ وجودِهم في الأرضِ[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بَعۡضُكُمۡ﴾: بَعْضُ الشيء جزءٌ منه، ويقابَلُ به الكلُّ، وبعضُ كلِّ شيءٍ طائفةٌ منه، فقد يكونُ البعضُ أكثرَ من جُزءٍ منَ الشَّيءِ، فيَتَنَاوَلُ مَا فَوْقَ النِّصْفِ كَالثَّمَانِيَةِ، فَإِنَّهُ يَصدُقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ بعضٌ مِنَ العَشَرَةِ، وقد يطلقُ على ما هو فردٌ منَ الشَّيء، كَمَا يُقَال: (زيدٌ بعضُ الإنسان)، والبعضُ يتَجَزَّأُ، والجزءُ لَا يتَجَزَّأُ، وبعَّضتُ الشَّيءَ تبعيضًا؛ إذا فرَّقْتُهُ أجزاءً.

والمُرادُ بالبَعْضِ في الآية الكريمة: البَعْضُ المُخالِفُ في الجِنْسِ، فَأَحَدُ البَعْضَيْنِ هو آدَمُ وزَوْجُهُ، والبَعْضُ الآخَرُ هو إبْلِيسُ[2].

2) ﴿مُسۡتَقَرّٞ﴾: قَرَّ في مكانهِ يَقِرُّ قَرَارًا؛ إذا ثبت ثُبوتًا جامدًا متمكِّنًا فيه، على معنى المُكثِ في المكانِ، وأصلُه منَ القُرِّ، وهو البَرْدُ، وهو يقتضِي السُّكونَ، والحرُّ يقتضِي الحركةَ، واسْتَقَرَّ فلانٌ: إذا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/68.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والكفويّ، الكليّات: (بعض)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/68.

تحرَّى القَرَارَ، وقد يُستعملُ في معنى قرَّ، كاستجابَ وأجابَ، ومعنى ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾: اللُّبثُ والإقامةُ[1].

3) ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: يُحتمَلُ أن يكونَ المتاعُ بمعنى التَّلذُّذِ، ومنه مَتَعَ النَّهارُ؛ لأنَّه يتمتَّعُ بضيائِه، والمتاعُ الانتفاعُ بما فيه لذَّةٌ عاجلةٌ، كما يُحتمَلُ أنْ يكونَ المتاعُ بمعنى الامتدادِ والارتفاعِ، فالمتاعُ انتفاعٌ ممتدُّ الوقتِ في خَيرٍ، ومنه مَتَعَ النَّهارُ؛ إذا امتدَّ ضياؤه، ومَتَعَ النَّباتُ؛ إذا ارتفعَ، والمتاعُ من أمتعةِ البيتِ: ما يستمتعُ به الإنسانُ في حوائجِه، والمتاعُ في الآيةِ، بمعنى: كلِّ ما ينتفَعُ به منَ الأشياءِ على وجهٍ ما، من نَيلِ الملذَّاتِ والمرغوباتِ غيرِ الدَّائمةِ، فيشملُ المالَ والطَّعامَ والمركبَ والتَّعميرَ وغيرَها[2].

4) ﴿حِينٍ﴾: الحينُ هو وقتُ بلوغِ الشَّيءِ وحصولِه، وهو ظرف زمانٍ مبهمُ المعنى، فليسَ له حدودٌ، ويتخصَّصُ بالمضافِ إليه، فقد يأتي بمعنى الأجلِ، وبمعنى السَّنةِ، وبمعنى الزَّمانِ المطلَقِ غيرِ المحدَّدِ، وقد يتعيّنُ بالقرائنِ، ويأتي الحينُ في الاستعمالِ الكثيرِ للوقتِ الطَّويلِ، يقالُ: ما رأيتكَ منذُ حينٍ، تريدُ منذُ حينٍ طويلٍ، وقد يأتي للوقتِ القصيرِ، والعبرةُ بالقرينةِ.

ومعنى الحين في الآية الكريمة: الزَّمَنُ المُقارِنُ لِحالَةِ الحَياةِ والإدْراكِ، وهو المُسَمّى بِالأجَلِ[3].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قالَ اللّهُ تعالى مخاطبًا آدمَ وحوَّاءَ - عليهما السلام - وإبليسَ: اهبطوا منَ

العَداوةُ بين آدمَ وذريَّتِهِ، وبين إبليسَ وأعوانِهِ، أمرٌ قَدَريٌّ، لا مَفرَّ منه

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (قرر)، وابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن، ص: 68.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والفيّومي، المصباح المنير: (متع)، وابن الهائم، التّبيان في تفسير غريب القرآن، ص: 68.

(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (حين)، والزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/116، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/68.

السَّماءِ إلى الأرضِ، بعضُكم لبعضٍ عدوٌّ، ولكم في الأرضِ مكانٌ تستقرُّونَه، وتمتُّعٌ تستمتعونَه إلى تقضِّي آجالِكم[1].

وتُرشدُ الآيةُ إلى أنَّ شُؤمَ الخطيئة كان سببَ طردِ إبليس منَ الرحمة، وإخراجِ آدمَ منَ الجنّة.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

### بَلاغةُ الاستئنافِ، في قولِه تعالى: ﴿قَالَ﴾:

اسْتِدرارُ سمْعِ المخاطَبين، وتنبيهُهم إلى الإصْغاءِ للخِطابِ

جاءَ الكلامُ على طريقِ الاستئنافِ البيانيِّ، كأنَّه قيلَ: ماذا قالَ اللّهُ تعالى بعدَ أنْ تابَ على آدمَ وحوَّاءَ، فأجابَ: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ﴾، لاستدرارِ سمْعِ المخاطَبين وتنبيهِهم إلى الإصغاءِ للخطابِ، وأفادَ الاستئنافُ كذلكَ إظهارَ العنايةِ بالأمرِ بالهبوطِ وبما بعدَه.

### الفرق بين ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ﴾، و﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ﴾ في سورةِ البقرةِ:

كلُّ تعبيرٍ قرآنيٍّ يُناسبُه ما يَدلُّ عليه السِّياقُ في موضِعِه من سُورتِه

جاءَ التَّعبيرُ بقوله: ﴿قَالَ﴾ في سورة الأعرافِ في سياقِ إبرازِ المُفارَقة بين سلوكِ إبليسَ وسلوكِ آدمَ بعد المعصيةِ، والمُتَّبَعُ في هذه السُّورة، التَّعبيرُ بـ ﴿قَالَ﴾ المناسبُ للتَّفرُّد والوحدانيَّةِ، وهذا واضحٌ في قولِه تعالى: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾، وفي قولِه تعالى ردًّا على إبليسَ: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ إلى غيرِ ذلك منَ المواطنِ الّتي ورد فيها التَّعبيرُ بـ ﴿قَالَ﴾، أمَّا ما ورد في سورة البقرةِ، فجاء مناسبًا للسِّياق هناك بتذكيرِ بني آدمَ بفضلِ اللّه عليهم، وكان المُتَّبَعُ في ذلك، التَّعبيرَ بما يدلُّ على العَظَمةِ، وهذا واضحٌ في كثيرٍ من مشاهدِ القصّةِ، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ [البقرة: 34]، وقال تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ﴾، وقالَ تعالى: ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾.

(1) نخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 153.

### معنَى واوِ الجمْعِ، في قولِه تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾:

جاءَ الضَّميرُ بصِيغةِ الجمعِ؛ ليشملَ آدمَ وحوَّاءَ - عليهما السلام - وإبليسَ اللَّعينَ، فلمَّا اجتَمعُوا في الإنزَالِ؛ جمَعَ بَينهم في الخطابِ، وذهبَ بعضُ المفسِّرينَ إلى أنَّ الخطابَ يشملُ ذرِّيَّةَ آدمَ كذلك، لدلالةِ السِّياقِ على دخولِ بني آدمَ في الخطابِ، ووجهُه أنَّه لمّا كانَ آدمُ وحوَّاءُ أصلَ الإنسِ؛ كانا كأنَّهما جنسُ الإنسِ كلِّه، كما أنَّه لامانعَ من خطابِ الذّرِّيَّةِ، وهي لم توجدْ بعدُ؛ لأنَّ خطابَ الأبناءِ تابعٌ لخطابِ الآباءِ، ولأنَّ المنتظَرَ هو في حُكمِ الموجودِ، أو يكونُ من قبيلِ المجازِ المرسلِ باعتبارِ ما سيكونُ مع إرادةِ المعنى الأصليِّ كذلك، فيكونُ من قبيلِ الجمعِ بينَ الحقيقةِ والمجاز[1].

الأمْـرُ الإلـهـيُّ مُـوجَّـهٌ للبَنين كما وُجِّهَ للآباء، على حدٍّ سَواءَ

### دَلالةُ الأمرِ بالهبُوطِ، في قولِه تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾:

لمّا كانَ الأمرُ بالهبوطِ هنا للكلِّ، أي: لآدمَ وحوَّاءَ وإبليسَ؛ أفادَ أنَّ الأمرَ بالهبوطِ هنا غيرُ الأمرِ بالهبوطِ في قولِه تعالى: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾، فلا تكرارَ بالأمرِ؛ لأنَّه علَّق بكلِّ أمرٍ منهما حُكمًا غيرَ حُكمِ الآخرَ، فعلَّقَ بقولِه: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ العقوبةَ لإبليسَ - والأمرُ خاصٌّ به - وعلَّقَ بقولِه: ﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ معنى إقامةِ الحياةِ في الأرضِ والاستقرارِ والمتاعِ إلى حينٍ، كما أنَّه كرَّرَ الأمرَ لإبليسَ تبعًا لآدمَ وحوَّاءَ؛ إذ جاءَ بصِيغةِ الجمعِ؛ ليُعلمَ أنَّهم قرناءُ أبدًا، أي: باعتبارِ جنسِ النَّاس، وإلَّا فعبادُ اللهِ المخلصون أمناءُ من مقارنَتِه[2].

لا تَـكـرارَ في القرآنِ الكريم، فـلِـكـلِّ لـفـظٍ معناهُ في سِياقِه الخاصِّ به

### دَلالةُ الخِطابِ بالأمْرِ بينَ الجمْعِ والتَّفريقِ:

يحتملُ الإخبارُ بالأمرِ بالهبوطِ أنْ يكونَ للجميعِ دُفْعةً واحدةً، وأنْ يكونَ أخبرَ عمَّا قال لهم مفرَّقًا بين آدمَ وحوَّاءَ من جهةٍ، وإبليسَ

وُرودُ الخطابِ بصيغةِ تجمعُ كلَّ الشّخصيّاتِ، تُشيرُ إلى صَلاحيّتِها لكلِّ المواقفِ

(1) الفرّاء، معاني القرآن: 1/31، والسّمعاني، تفسير السّمعاني: 2/173، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/387، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/361، ومجموعة من المؤلّفين ولجنة من أساتذة الأزهر، التّفسير الوسيط: 3/1399.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/9، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 8/361.

اللَّعين من جهةٍ أُخرى، ويردُ مثلُ هذا الخطابِ في القرآنِ كما في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: 51]، فهو هنا خطابٌ للأنبياءِ - عليهم السلام - على التَّفريقِ، مع كونِهم أُرسِلُوا في أزمِنَةٍ مُختَلِفَةٍ، وأنَّ كُلًّا منهم خُوطِبَ بهذا الخطابِ كذلك في زَمانِهِ[1].

### سِرُّ التَّعبيرِ بالجمْعِ هنا، وبالمُثَنَّى في سورةِ طه:

جاء التَّعبيرُ القرآنيُّ في سورة الأعرافِ - وقبل ذلكَ في سورةِ البقرة - بالأمرِ بالهبوطِ بصيغةِ الجمعِ ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾، أمَّا في سورة طه؛ فجاءَ بصيغة المثنَّى ﴿ٱهۡبِطَا﴾ [طه: 123] وسببُ ذلك أنَّ الأمرَ في موضعِ الجمعِ موجَّهٌ لآدمَ وزوجِه والذُّرِّيَّةِ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منَ البشرِ فيه جزءٌ من آدمَ؛ إذًا أمْرُ الذريَّةِ معتبرٌ في صيغة الجمع؛ أمَّا في سورةِ طهَ؛ فالأمرُ محمولٌ على طرفَي المواجهةِ، فالطَّرفُ الأوَّلُ: آدمُ وذرّيتُهُ، والطَّرفُ الثَّاني: الشَّيطانُ وأعوانُهُ.

تَعدُّدُ جِهاتِ الهُبوطِ، لكوْنِ الأمْرِ جاء بتعميمِ أمْرٍ، هو بذِمّةِ آدمَ مَنُوطٌ

### تأصُّلُ العَداوةِ بين إبليسَ وآدمَ وذرِّيتِه في السِّياقِ:

لمّا كانَ كلُّ مَنْ يسعى في هلاكِنا هو عدوٌّ لنا، ونحنُ عدوٌّ له، وكانَ إبليسُ قد أقسمَ بأنْ يغويَ بني آدمَ بالقُعودِ لهم على الصِّراطِ المستقيمِ، وإتيانِهم من جميعِ الجهاتِ، كما يأتي العدوُّ؛ ناسبَ أنْ تكونَ العداوةُ متواردةً بينَ الطَّرفين[2]، فقال تعالى: ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾.

إبليسُ يَسعَى في هلاكِ البَشرِ، وهو عدُوٌّ لهم، وهُم أعداءٌ له

### نُكتةُ التَّعبيرِ بلفْظِ ﴿بَعۡضُكُمۡ﴾:

لمّا كانَ لفظُ (بعض) يُطلقُ على الفردِ منَ الشَّيءِ، وعلى الطَّائفةِ؛ دلَّ التَّعبيرُ بهذا اللَّفظِ على أنَّ عداوةَ إبليسَ لبني آدمَ قد تكونُ لفردٍ واحدٍ، أي: للأفرادِ على البدلِ، وقد تكونُ لطائفةٍ، كما في عداوتِه لطائفةِ المؤمنينَ؛ إذ أخبرَ عن عُمقِ صَرْفِه النّاسَ عن عبادةِ اللّه بقولِه:

عَداوةُ إبليسَ للفردِ الواحدِ، كما هي لِطائفةِ المؤمنينَ قاطبةً

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/9، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/221.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنة: 4/392.

﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: 17]، زِيادَةً في بَيانِ قُوَّةِ إضْلالِهِ البشرَ، بِحَيْثُ لا يُفْلِتُ مِنَ الوُقُوعِ في حَبائِلِهِ إلّا القَلِيلُ مِنَ النّاسِ[1].

### مُناسبةُ التَّعبيرِ بالبَعضيَّةِ ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾:

البَادِئُ بالعَداوةِ لبني آدمَ هو إبليسُ اللَّعينُ

لمّا كانَ البعضُ الأوَّلُ هو إبليسُ، والبعضُ الثَّاني هو آدمُ وحوَّاءُ، أفادَ أنَّ المرادَ بالبعضِ البعضُ المخالِفُ في الجنسِ، بمعنى عداوةِ إبليسَ لآدمَ وجنسِه، وليس المرادُ عداوةَ بني آدمَ بعضِهم لبعضٍ[2]، كما أفادَ قولُه تعالى: ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ أنّ البادئَ بالعَداوةِ هو إبليسُ اللَّعينُ.

### دَلالةُ آيةِ البعضيّةِ، بين الحالِ والاستِئنافِ:

ثُبوتُ العَداوةِ بينَ إبليسَ وبني آدمَ، واستِمْرارُها على مدَى الدّهرِ

تحتملُ جملةُ ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ أنْ تكونَ حالًا، ولمَّا كانتِ اسميَّةً، وكانَ الحالُ على معنى اقترانِه بعامله؛ دلَّ الكلامُ على ثبوتِ اقترانِ العداوةِ بالهبوطِ، أي: إنَّهم نزَلُوا متعادِين؛ لإفادةِ استمرارِ العداوةِ وثبوتِها، فإبليسُ يعادِيهما، وهما يعاديانِه، أي: إنَّ العداوة ثابتةٌ بين الجنِّ والإنسِ لا تزولُ البتّةَ[3]، كما تحتملُ أنْ تكونَ استئنافًا بيانيًّا، كأنَّهم لمَّا أُمروا بالهبوطِ سألوا: كيفَ يكونُ حالُنا؟ فأجيبوا بأنَّ بعضَكم لبعضٍ عدوٌّ، ولايخرجُ التَّركيبُ على هذا الاحتمالِ - أيضًا - عن معنى ثبوتِ العداوةِ واستمرارِها[4].

### مُناسَبةُ التَّعبيرِ بالعَداوةِ، في قولِه تعالى: ﴿عَدُوّٞ﴾:

التَّمسُّكُ بالصِّراطِ المستقيمِ يَقِي مِن مَصارعِ الشَّيطانِ الذّميمِ

أشعرَ التَّعبيرُ بالعداوةِ تحذيرَ بني آدمَ منَ الشَّيطانِ، وتذكيرَهم بعداوتِه لهم ولأصلِهم؛ ليتَّهمُوا كلَّ وسوسةٍ تأتيهم مِنْ قِبَلِه، وللإشعارِ بوجوبِ التَّهيُّؤِ له، كما يُتهيَّأُ للعدوِّ وذلك بالتّمسُّك بالصِّراط المستقيم[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/50.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/68.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/97، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/221.
(4) الآلوسّي، روح المعاني: 4/342.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/68.

### بَلاغةُ التَّقديمِ ﴿لِبَعۡضٍ﴾ والتَّأخيرِ للفظِ ﴿عَدُوّٞ﴾ في السِّياقِ:

لايــزالُ إبليسُ يــترصَّــدُ لبني آدمَ، حـتّـى يُـوقـعَـهـم في شِباكِه

هذا من أساليب البيانِ القرآنيِّ الّذي يعبِّرُ عن ترتيب الكلماتِ والجُملِ بحسبِ ما يتناسبُ مع المقصودِ والموقفِ، فقد أفادَ تقديمُ ﴿لِبَعۡضٍ﴾ على ﴿عَدُوّٞ﴾ الاهتمامَ؛ للتَّحذيرِ من عداوةِ إبليسَ والاهتمامِ بها، وللإشعارِ بترصُّده لآدمَ وذرِّيَّتِه.

### سِرُّ التَّعبيرِ بالمفردِ: ﴿عَدُوّٞ﴾ دونَ (أعداءٌ):

الـعَـدُوُّ مَصدرٌ يُطلقُ على المفردِ والمثنَّى والجمْعِ

عبَّر بلفظ ﴿عَدُوّٞ﴾ دون أعداءٍ، كأن يقولَ: (بعضُكم أعداءٌ لبعضٍ)؛ لأنَّ ﴿عَدُوّٞ﴾ مصدرٌ، فيُطلق على المفرد والمثنَّى والجمع. وأيضًا لأنَّ لفظَ (بعض) يُخبرُ عنه بالواحدِ لفظًا ومعنًى، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ العداءَ بين آدمَ وذرّيته من جهةٍ، وبين إبليسَ وأعوانِه من جهةٍ أخرى، عداوةٌ واحدةٌ ناتجةٌ عنِ الطَّاعة والمعصيةِ. وللإشارةِ إلى الفرْقِ بين العداوةِ الإيمانيَّةِ والعداواتِ المجتمعيَّةِ، فأشكالُها متعدِّدةٌ وأسبابُها متنوعِّةٌ.

### جُملة ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ﴾ بين الحاليَّةِ والاستئنافيَّةِ:

تـوسُّـعُ المعنَى بتَنوُّعِ التَّقديرِ، من بـديعِ كـلامِ العليمِ الخبيرِ

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾، لمّا كانتْ هذهِ الجملةُ معطوفةً على قولِه تعالى: ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾[1]؛ احتملتْ أنْ تكونَ حالًا، أو استئنافًا بيانيًّا، مثلَ الجملةِ المعطوفِ عليها، فعلى تقديرِ الحالِ، يكونُ المعنى اقترانَ الهبوطِ بحالَين ثابتَين، أي: اهبطوا منها في حالِ تعادِيكم، وفي حالِ أنْ يكونَ لكم في الأرضِ مستقرٌّ ومتاعٌ إلى حينٍ، وتحتملُ أنْ تكونَ استئنافًا بيانيًّا، فكأنَّهم لمَّا أُمروا بالهبوطِ؛ سألوا كيفَ يكون حالُنا في الأرضِ؟ فأجيبوا بما ذُكِرَ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/69.

**دَلالةُ صِيغةِ: ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾:**

تحتملُ الصِّيغةُ أنْ تكونَ مصدرًا ميميًّا، وأنْ تكونَ اسمَ مكانٍ، فإذا كانتْ مصدرًا ميميًّا، فالمعنى: ولكم في الأرضِ استقرارٌ ومُكثٌ؛ لإفادةِ حقيقةِ الاستقرارِ في الأرضِ، كما تحتملُ الصِّيغةُ أنْ تكونَ اسمَ مكانٍ؛ لإفادةِ موضعِ الاستقرارِ والمُكثِ، وهو رأيُ جمهورِ المفسِّرين، والمعنى: في الأرض مكانُ استقرارِكم في حياتِكم، ومُكثِكُم فيها[1].

الأرضُ هي مكانُ استقرارِ بني آدمَ، ومَوضعُ مُكْثِهم

**دَلالةُ تقديمِ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾، على قولِهِ تعالى ﴿مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ﴾:**

لمّا تقدَّم الجارُّ والمجرورُ أفادَ الحاليَّةَ والعنايةَ والاهتمامَ، بمعنى إظهارِ العنايةِ والاهتمامِ ببيانِ حالِ مكانِ الاستقرارِ والمتاع لبني آدم، ويُحتمَلُ أنْ يفيدَ التَّخصيصَ - أيضًا - بمعنى لا يجتمعُ الاستقرارُ والمتاعُ في غيرِ الأرضِ الّتي نحن ساكنُوها، وقد يكونُ فيه إشارةٌ إلى وجهٍ منَ الإعجازِ العِلميِّ لم تتحقَّق معرفتُه لنا.

لا يجتمعُ الاستقرارُ والمتاعُ في غيرِ الأرضِ الّتي نحن سَاكِنُوها

**سببُ إيثارِ العطْفِ، في قولِه تعالى: ﴿مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ﴾:**

عطْفُ المتاعَ على الاستقرارِ في الأرضِ؛ لبيانِ أنَّ الاستقرارَ والمتاعَ في الأرضِ مقترنانِ لا يفترقانِ، والمعنى: ولكم في الأرضِ استقرارٌ أو مكانٌ تستقرُّونَ فيه في حياتِكم، ومتاعٌ تنتفعونَ به في معيشتِكم إلى حينٍ، وهذا المستقرُّ والمتاعُ هنا بمعنى قولِه تعالى في أوَّلِ هذا السِّياقِ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ [الأعراف: 10]، فهو تعالى يذكِّرُنا فيما خاطبَ به آخرَنا على لسانِ آخرِ رسلِهِ وخاتمِهم ﷺ بما قاله لأوَّلِنا[2].

لا استقرارَ في الأرضِ مِنْ غيرِ تمتُّعٍ فيها، وتلك سُنّةُ الله في العُمْرانِ

**دَلالةُ التَّنكيرِ، في قولِه: ﴿مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ﴾:**

أفاد التَّنكيرُ في لفظَيْ ﴿مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ﴾ التَّقليلَ، بمعنى: أنَّ الاستقرارَ في الدُّنيا، والمتاعَ فيها قليلٌ، وإنْ طالَ بالنِّسبةِ لآجالِ

لا بقاءَ في الدّنيا لمتاعٍ، وإن طالَتِ الآجالُ، واتّسعتِ الأعمارُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 3/646، والآلوسّي، روح المعاني: 4/342.
(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 8/313.

النَّاس، كما جاءَ في قولِه تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾، فالاستقرارُ ومتاعُ الدُّنيا سريعَا التقضِّي، وشيكَا الانصرامِ، وإنْ أُخِّر النَّاسُ إلى حينٍ.

### سِرُّ تَقديمِ (المُستَقرّ) على (المتاعِ):

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾، قُدِّمَ المُستَقرُّ على المتاع؛ لأنَّه لفظٌ عامٌّ يشمَلُ زمنَ الحياة وزمنَ الإقامة في القبورِ، كما وصفَ اللهُ الأرضَ الّتي نعيشُ عليها، بأنها تضمُّ على ظهرها أحياءً لا يُحصَوْن، وفي بطنها أمواتًا لا يُحصَرُون، بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦﴾ [المرسلات: 25 - 26]؛ أمَّا المتاعُ من نَيلِ الملذّات والمرغوباتِ غيرِ الدّائمة، أو ما يتَّمتعُ به وينتفعُ به منَ الأشياء؛ فهو بحسبِ كلِّ إنسانٍ ومدّةِ حياتِه؛ لأنَّ المتاعَ هو التَّمتُّعُ والنَّيلُ منَ الفوائدِ، وعلى ذلك؛ فالمتاعُ أخصُّ منَ المُستقرِّ.

المستقرُّ لفظٌ شامِلٌ، يجمَعُ بين الحياةِ الدُّنيا وحَياةِ القُبورِ

### نُكتةُ التَّعبيرِ بحرفِ الجرِّ، في: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾:

أي: إنَّ المستقرَّ والمتاعَ بالغانِ ومنتهيانِ إلى حينٍ؛ ليكونَ إعلامًا منَ اللهِ بما قدَّرهُ للإنسِ والجنِّ في هذهِ الأرضِ، وإيذانًا بأنَّ مُكثَهما وانتفاعَهما في الأرضِ لهما غايةٌ زمنيَّةٌ ينتهيان إليها، وليس في ذكرِ انتهاءِ الغايةِ امتنانٌ ولا تنكيلٌ بهم[1].

المُكثُ والانتفاعُ في الدُّنيا، لهما وقتٌ يَنتهِيانِ إليه

### بَراعةُ التَّعبيرِ بلفْظِ ﴿حِينٍ﴾:

عُبِّر بالحينِ لفوائدَ هي: لإفادةِ أنَّ المستقرَّ والمتاعَ في الأرضِ يكونُ لزمنٍ كثيرٍ وطويلٍ بالنَّظر إلى أعمارِ النَّاس وآجالِهم، فإنَّه لمَّا كانت أعمارُ النَّاسِ طويلةً، وآجالُهم عن أوائلِ حدوثِهم متباعدةً؛ جاز أنْ يقولَ: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾، كما يكونُ لفظُ ﴿حِينٍ﴾ دالًّا على الزّمنِ، فهو قصيرٌ بالنَّظرِ إلى مدَّةِ الدُّنيا إلى الآخرةِ، فمتاعُ الدُّنيا

(الحينُ) مِنَ المشتركِ اللّفظيِّ الحاملِ أكثرَ مِن معنًى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/69.

قليلٌ وقصيرٌ، ولمّا كانَ الحينُ في الآيةِ غيرَ مُعيّنٍ ولا محدَّدٍ بزمنٍ؛ احتُمِل أنْ يكونَ المرادُ به إلى حينِ الموتِ أو إلى حينِ يومِ القيامة، فيصحَّ حملُه على المعنيَيْنِ، فإذا كانَ بحسبِ الفردِ الواحدِ منَ النَّاس؛ فالمرادُ به الموتُ، وإذا كانَ بحسبِ عُمومِ النَّاس؛ فالمرادُ به قيامُ السَّاعةِ، وعلى كلا التَّقديرين يشملُ المستقرُّ والمتاعُ زمنَ الحياةِ كلِّها[1].

### مُناسبةُ تَنْكيرِ لفْظِ ﴿حِينٍ﴾:

الاستقرارُ والتَّمتُّعُ في الأرضِ، يختلفُ قِصَرًا وطُولًا باختلافِ الأجناسِ والأفرادِ

نُكِّرَ لفظُ ﴿حِينٍ﴾ هنا، ولم يحدَّدْ؛ لاختلافِ مقدارِه، فقد يكونُ الاستقرارُ في الأرضِ والتَّمتُّع فيها طويلًا، وقد يكونُ قصيرًا، وذلكَ باختلافِ الأجناسِ والأفرادِ، وباختلافِ النَّظرِ إلى المجموعِ أو إلى الأفرادِ كما تقدَّمَ[2].

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### (الهبوطُ) و(النّزولُ):

الهُبوطُ نقيضُ الصُّعودِ، وهو نزولٌ تَعقبُهُ إقامةٌ، والنّزولُ الانحدارُ من عُلوٍّ فقط

عبَّرَ بالهبوطِ دونَ النُّزول؛ لوجودِ فرقٍ بينهما، فالنُّزولُ: هو الحلولُ والانحطاطُ من عُلوٍّ، ويُعَبَّرُ بالنَّازلة عنِ الشِّدَّة في الحربِ، ويُستعملُ الإنزالُ في الدَّلالةِ على نزولِ الأشياءِ من جهة العُلوِّ للدَّلالة على شرفِها وعُلُوِّها؛ كإنزالِ الملائكةِ والقرآن والغيثِ ونحوِ ذلكَ.

أمَّا الهبوطُ؛ فيُطلقُ على الانحدارِ على سبيلِ القهرِ، وهو نقيضُ الصُّعود، ويقالُ: رجلٌ مَهْبُوط، أي: نَقُصت حالُه، وعلى ذلك؛ فالتَّعبيرُ بالهبوطِ، هو المناسبُ هنا للنَّقص الّذي طرأَ على آدمَ وزوجِه وعلى إبليسَ، وأيضًا؛ لأنَّ الهبوطَ نزولٌ تعقبُه إقامةٌ، فتقولُ: هبطْنا مكانَ كذا: أي: نزلناه وأقمْنا فيه؛ لذلك كان التَّعبيرُ بالهبوط

(1) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/116، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/387، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 3/646.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/69.

دون النُّزول هو المناسبُ لحال آدمَ؛ لأنَّه خليفةُ اللّه في الأرض، والخلافةُ تقتضي الإقامةَ فيها.

**(الحينُ) و(الوقتُ) و(الأجلُ):**

آثرَ التَّعبيرَ بـ(الحين) دونَ الوقت؛ لأنَّ الحينَ أعمُّ منَ الوقتِ والأجل، حيث يُطلقُ على بلوغ الشَّيءِ وحُصولِه، وهو مُبهمُ المعنى، ويتخصَّصُ بالمضاف إليه، نحوَ: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾، ويأتي بمعنى الأجل، نحو: ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾، وبمعنى السَّنَة: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: 25]، وبمعنى السَّاعة: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الرّوم: 17]، وللزَّمانِ المطلق: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: 1]، بخلاف الأجلِ؛ فهو المدَّةُ المضروبةُ للشَّيء، ويقالُ للمدَّة المضروبةِ لحياة الإنسان: أجلٌ، قال تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ [غافر: 67].

**(الحينُ) يُطلقُ على بلوغِ الشَّيءِ وحُصولِه، والوقتُ على نهايةِ الزَّمانِ المفروضِ للفعلِ والأجلُ المدّةُ المضروبةُ للشّيء**

أمَّا الوقتُ؛ فيُطلقُ على نهاية الزَّمانِ المفروضِ للعمل، ولهذا لا يكادُ يُقالُ إلا مُقيَّدًا، نحوَ قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: 103]. وبناءً على كلِّ ذلك: كان التَّعبيرُ بـ ﴿حِينٍ﴾ هو المناسبُ لهذا السِّياقِ؛ لأنَّ استقرارَ البعضِ تتعدَّد أحوالُه وأزمنتُه.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»